تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية على إفريقيا

أ.د. مصطفى خواص

أستاذ محاضر بالمدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية – الجزائر.

تعمل الحروب على إظهار القدرات الحقيقية لكل الأطراف المتحاربة، وتكشف بشكلٍ غير مباشر عن مدى ارتباط قوى أخرى بعيدة عن الميدان بأطراف الحرب، إذ هناك أطراف غير مشاركة في الحرب لكنها تتأثر بنتائجها، سواء كانت فوزاً أو خسارة، إذ مجرد قيام الحرب يُعدّ أمراً سلبياً لهذه الأطراف، وهو الحال مع كثيرٍ من البلدان الإفريقية، في علاقتهم بالحرب الروسية الأوكرانية.

بعد أن قامت روسيا بضم جزيرة القرم سنة ٢٠١٤م، وبدعم مباشر وغير مباشر للأقاليم الناطقة بالروسية في كثيرٍ من البلدان المحيطة بها، وخاصةً في أوكرانيا، اعتبر الغرب ذلك نيات توسعية تظهرها موسكو، وبدأت في محاولاتٍ حثيثة لاحتواء روسيا وعزلها، ولذلك سعت الأخيرة أيضاً إلى تنويع علاقاتها مع البلدان من خارج الدائرة الغربية، إذ على مدى السنوات الأخيرة سرّعت موسكو من جهودها لإعادة وجودها في إفريقيا، مستغلةً كل فرصة متاحة، سواء من خلال المساعدات المالية والدعم السياسي ومبيعات الأسلحة والتعاون الأمني، وازداد انخراطها الدبلوماسي والأمني والاقتصادي مع القارة، مما مكنها من تحديد فرص جديدة لاستخراج الموارد الطبيعية، واكتساب أسواق جديدة لمنتجاتها العسكرية والزراعية.

حسب إحصائيات ٢٠٢١م؛ فإن حجم التجارة بين روسيا وإفريقيا تجاوز ١٧ مليار دولار أمريكي بقليل، تُصدّر روسيا حوالي ١٥ مليار دولار إلى البلدان الإفريقية، وتستورد منهم حوالي ١,٩ مليار دولار أمريكي، وبمقارنة السنة نفسها؛ تجاوزت صادرات إفريقيا إلى الصين ٧٤ مليار دولار، واستوردت منها أقل قليلاً من ١١٦ مليار دولار. وتجاوزت صادرات إفريقيا إلى الولايات المتحدة ٣٨ مليار دولار، واستوردت منها أكثر من ٢٦ مليار دولار. وكان الاتحاد الأوروبي أكبر شريك تجاري لإفريقيا، حيث بلغت صادرات إفريقيا إلى الاتحاد الأوروبي أكثر من ١٦٤ مليار دولار، واستوردت من الاتحاد الأوروبي أكثر من ١٦٩ مليار دولار. لكن على الرغم من تواضع حجم التبادل التجاري الروسي الإفريقي فإن روسيا تبقى لاعباً رئيسياً، حيث يتزايد نفوذها بسبب سياساتها الاقتصادية التوسعية واتفاقيات التعاون العسكري مع البلدان الإفريقية[١].

تزيد أهمية إفريقيا بالنسبة إلى روسيا- والعكس صحيح- اقتصادياً بسبب التطويق الغربي لها، فهي تبحث عن أسواق وشركاء جدد، وكذلك تزيد أهمية هذه العلاقة سياسياً باعتبار أن كلا الطرفين ينادي ويسعى إلى عالم متعدد الأقطاب. الوجود الروسي السياسي في القارة أقوى بكثيرٍ من وجوده الاقتصادي، والبعد الجيوستراتيجي للعلاقات يطغى على باقي الجوانب، وما زال الوضع هكذا إلى غاية اليوم. وعلى الرغم من التقدم الذي سجلته روسيا في الأعوام الأخيرة في المجال الاقتصادي؛ فإن سعيها الأساسي كان الوجود في نقاط الارتكاز المهمة التي تطل عليها إفريقيا، مثل جنوب المتوسط، والبحر الأحمر، والمنافذ المائية الأساسية، حيث تقع روسيا على أطراف العالم القديم، وتسعى دائماً للوصول والنفاذ إلى وسطه.

بالعودة إلى الطرف الآخر في الحرب، أي أوكرانيا، فإن الحديث عنها محصور في جانبه الاقتصادي فقط، فالعلاقات الأوكرانية الإفريقية تحكمها الميكانيزمات نفسها التي تحكم العلاقة الإفريقية بالمعسكر الغربي، إذ هي بشكلٍ أو بآخر طرف في ذلك المعسكر، وأحداث الحرب أظهرت ذلك بشكلٍ جلي لكل المتابعين. الوجود السياسي والدبلوماسي لأوكرانيا في البلدان الإفريقية محدودٌ جداً، فهي لا تملك سفارات إلا في عشر دول إفريقية، وتخطط للانتشار في عشر دول أخرى مستقبلاً[٢]، لكن من حيث العلاقات الاقتصادية

(١) Vuk Vuksanović. Moscow's continent: The principles of Russia's Africa policy engagement (Occasional Paper No.341). South African Institute of International Affairs. March 2023. p.3-4. https://saiia.org.za/wp-content/uploads/2023/03/SAIIA_OP_341_MoscowsContinent.pdf

(٢) The President of Ukraine, Every day you

فإن حجم التبـــادلات التجارية الأوكرانية مع بلدان القارة وصـــل إلى حدود أربعة مليارات دولار، وهي تقريباً ربع حجم التبادلات التجارية مع روسيا[١].

إن طرفي الصراع ليســـا قوتَين محدِّدتَين في الاقتصـــاد العالمي، لكنهما يؤديـــان أدواراً مركزية في ســـلع معيّنة. يبلغ عدد سكان الاتحاد الروسي ١٤٤ مليون نســـمة، ويمثّل حوالـــي ٢٪ من الناتج الإجمالـــي العالمي، أي ما يعادل حجم الاقتصادَين البلجيكي والهولندي معاً. اندماجها في سلاســـل القيمة العالمية محدود، ويتكون أساســـاً من توفير المواد الخام، في شكل الوقود الأحفوري والحبوب والأسمدة. أما الاقتصاد الأوكراني فهو أكثر تنوعاً من الاقتصاد الروســـي، إلا أنه أصغر بكثير، حيث لا يمثّل ســـوى ٠,٢٪ من الناتج العالمي، ومع ذلك تؤدي أوكرانيا دوراً حاسماً في سوق المواد الغذائية الدولية، حيث توفـــر ٦٪ من صادرات الحبوب في العالم، و١٠٪ من صادرات الزيوت النباتية والبذور الزيتية، والحصـــة الأكثر أهميةً للقمح، حيث تصل إلى ١٠٪ من الصادرات العالمية، وزيت دوار الشمس بنســـبة ٥٠٪ من الصادرات العالمية، وتُعدّ مناطق دونيتسك ولوهانســـك- حيث العمليات العسكرية مكثفة بشكلٍ خاص- مصدراً لحوالي ٨٪ من إنتاج القمح الأوكراني، و٩٪ من بذور دوار الشمس[٢].

• أسعار الغذاء والطاقة وتمدد الفقر في إفريقيا:

تأثر الأمن الغذائـــي لمعظم البلدان الإفريقية بدرجاتٍ متفاوتة من بداية الحرب الروســـية على أوكرانيـــا، وهذا لتبعية القـــارة للبلدين في تحقيق حاجياتها الغذائية[٣]. يُعدّ الاتحاد الروسي وأوكرانيا لاعبَين عالميَّين في أسواق الأغذية الزراعية، يمثّل البلَدان حوالي ٥٣ ٪ من حصة التجارة العالمية في زيت دوار الشمس، وحوالي ٢٧٪ من حصة التجارة العالمية في القمح[٤].

إذا كان الغذاء يشكّل نسبة معتبرة من الصادرات الروســـية إلى إفريقيا؛ فإن التبعيـــة الغذائية بين إفريقيا وأوكرانيا تشـــهد أيضاً نمواً متزايداً، سجّل عـــام ٢٠٢١م تصدير أوكرانيـــا ١٣ مليون طن من المنتجات الزراعية، بقيمة ٣,٨ مليارات دولار إلى معظم الدول الإفريقية، كانت مصر أكبر مســـتورد للمنتجـــات الغذائية الزراعيـــة الأوكرانية، إذ تمثّل ٤٢ بالمائة من إجمالي قيمة الصادرات الأوكرانية، وإلى جانب مصر نجد أيضاً ليبيا والمغرب وتونس وإثيوبيـــا والجزائر، وبلدان أخـــرى. وفي المقابل؛ استوردت أوكرانيا ١٦٨ ألف طن فقط من المنتجات الزراعيـــة، بقيمة ٣٨٠ مليـــون دولار، من ٣٩ دولة إفريقية. كانت كوت ديفـــوار أكبر مصدِّر للأغذية الزراعية إلى أوكرانيا، حيث اســـتحوذت على ٢٦٪ من الـــواردات، تبعتها مالاوي ومصر وغانا وجنوب

should feel that people's lives and the situation in our country depend on your work- President's speech at the Conference of Ambassadors of Ukraine, 23 December 2022.

(١) Kyiv School of Economics. "The African Countries and Ukraine Partnership", Kyiv School of Economics, 2023, https://kse.ua/the-african-countries-and-ukraine-partnership-africa/. Accessed 13 June 2023.

(٢) Abdelaziz Ait Ali et al., "The Economic Implications of the War in Ukraine for Africa and Morocco," Policy Brief 11/22 (Policy Center for the New South, February 2022) https://www.policycenter.ma/sites/default/files/2022-02/PB_11-22_Dadush.pdf

(٣) OVIGWE EGUEGU, "The Russia–Ukraine War: Implications for Africa." Institute for Security Studies, March 2023. https://saiia.org.za/wp-content/uploads/2023/05/SAIIA_OP-343_RussiaUkraineWar-1.pdf

(٤) UNCTAD, The impact on trade and development of the war in Ukraine. 16 March 2022, p.3 https://unctad.org/system/files/official-document/osginf2022d1_en.pdf (Accessed: 11 June 2023).

إفريقيا، بنسب ١٩٪ و١٥٪ و١١٪ و٧٪ من إجمالي الواردات على التوالي. شكّلت الصادرات الإفريقية: ١١٠ ملايين دولار من منتجات الكاكاو، و٧٥ مليون دولار من التبغ، و٥٢ مليون دولار من الحمضيات، وحوالي ١٤ مليون دولار من البن، و١٠ ملايين دولار من فواكه غرب إفريقيا[١].

بسبب ارتفاع أسعار السلع الأساسية؛ واجهت الأسر الإفريقية صعوبات متزايدة في تلبية حاجياتها الغذائية اليومية، وأدى الغزو الروسي لأوكرانيا في فبراير ٢٠٢٢م إلى ارتفاع أسعار النفط الخام بنسبة ٢٠ بالمائة، من ٩٣,٥٠ دولاراً أمريكياً للبرميل إلى ١١٢,٤٠ دولاراً، مع متوسط ١٠٢,٨٠ دولار بين مارس وأكتوبر ٢٠٢٢م. كما ارتفعت أسعار القمح بنسبة ٢٨ بالمائة، من ٣٦٤,٩٠ دولاراً للطن المتري في فبراير ٢٠٢٢م إلى ٤٤٦,٥٠ دولاراً في مارس ٢٠٢٢م، بمتوسط ٤٢٧,٢٠ دولاراً بين مارس وأكتوبر ٢٠٢٢م. وبالمثل؛ ارتفعت أسعار الأسمدة بمقدار ٢٢ في المائة، من ٥٤٧,١٠ دولاراً للطن المتري في فبراير ٢٠٢٢م إلى ٦٦٨,٩٠ دولاراً في مارس ٢٠٢٢م، بمتوسط ٦٢٤,٩٠ دولاراً بين مارس وأكتوبر ٢٠٢٢م. كما ارتفعت أسعار السلع الأخرى، وبخاصة المنتجات الزراعية والمعادن، فوق مستويات ما قبل الغزو الروسي وسط تزايد عدم اليقين، واستمرار الحرب، مع احتمال توسعها إلى بلدان أخرى[٢].

(١) Anna Myslytska, The African Countries and Ukraine Partnership in Agriculture, Center for Food and Land Use Research at Kyiv School of Economics, March 30, 2023. https://kse.ua/wp-content/uploads/2023/03/The-African-Countries-and-Ukraine-Partnership_-General-Overview.pdf

(٢) البنك الإفريقي للتنمية، أداء الاقتصاد الكلي وتوقعاته في إفريقيا لعام ٢٠٢٣، يناير ٢٠٢٣، ص٣٩.
https://www.afdb.org/ar/documents/d-lqtsd-lkly-fy-fryqy-wtwqth-ynyr-2023

على الأرجح أن إفريقيا ستصبح من جديدٍ موقعاً لمزيدٍ من التنافس الجيوسياسي خلال السنوات القادمة، مما سيؤدي إلى تفاقم الأزمات والصراعات في القارة

إن عدد من يعانون من الفقر المدقع على أساس خط الفقر البالغ ١,٩٠ دولار في اليوم، قد ازداد بنحو ثمانية ملايين شخص في إفريقيا، بعد حساب ارتفاع معدل تضخم الغذاء، الذي لوحظ منذ مارس ٢٠٢٢م، ويتوافق ذلك مع زيادة بنسبة ٠,٦ بالمائة في معدل الفقر المدقع. ويُقدّر العدد الإضافي للأشخاص الذين يقعون في براثن الفقر المدقع بسبب تضخم أسعار الطاقة بنحو ١٠,٢ ملايين، وبذلك يصل تأثير الفقر المشترك الناتج عن ارتفاع أسعار الغذاء والطاقة إلى حوالي ١٥ مليون شخص، أو ١,١ بالمائة من سكان إفريقيا.

وتجدر الإشارة إلى أن تأثير الفقر الناتج عن الزيادات في أسعار الطاقة أعلى من ذلك الناتج عن الزيادات في أسعار الغذاء؛ بما أن الطاقة تؤثر في كامل دخل الأسرة، في حين أن التأثير السلبي لارتفاع أسعار الغذاء تعوضه جزئياً الزيادات في دخل الأسرة من الباعة الصافين[٣].

(٣) المرجع نفسه، ص٤٠.

المؤشرات العالمية لأسعار السلع الأساسية

يناير ٢٠٢٠م - نوفمبر ٢٠٢٢م:

المصدر: البنك الإفريقي للتنمية، أداء الاقتصاد الكلي وتوقعاته في إفريقيا لعام ٢٠٢٣م، يناير ٢٠٢٣م، ص١١.

إن مستوى التبادل التجاري بين روسيا وأوكرانيا من جهةٍ وبين بلدان القارة لا يأخذ قيمته من حجمه، فهو ضئيل إلى حدٍّ ما إذا ما قارناه بباقي الشركاء الدوليين، لكن أهميته تكمن في نوعية السلع المتبادلة، حيث نجد على رأسها الحبوب بمختلف أنواعها والأسمدة، ولذا فالخوف في إفريقيا هو إذا لم يكن هناك محصول في العام المقبل لأنه لا يوجد سماد؛ فإن الملايين من الناس سيتأثرون بشدة[١].

وهناك مجال محدود لاستبدال الواردات من الاتحاد الروسي وأوكرانيا من خلال التجارة بين البلدان الإفريقية، حيث إن الإمداد الإقليمي للقمح صغير نسبياً، وتفتقر أجزاءٌ كثيرة من القارة إلى بنى تحتية للنقل وسعة تخزين فعالة. في هذا السياق، وبالنظر إلى الصدمات الخاصة بكل بلد، وتغير المناخ، وقيود التصدير والتخزين، قد يكون هناك احتمال لأزمات انعدام الأمن الغذائي في بعض المناطق، ولاسيما إذا كانت زيادة تكاليف الأسمدة والمدخلات الأخرى كثيفة الاستهلاك للطاقة تؤثر سلباً في الموسم الزراعي المقبل[٢].

• التجارة والاستثمار الروسي في إفريقيا:

ترتكز حوالي ٧٠٪ من تجارة روسيا في إفريقيا داخل الاقتصادات الأربعة للجزائر ومصر والمغرب وجنوب إفريقيا، وهذه البلدان هي حجر الزاوية في سياسة روسيا تجاه إفريقيا، ومن المعترف به عموماً أن تصبح اقتصادات مهمة خلال ٢٠٥٠م، مع مصر في المركز الخامس عشر، وجنوب إفريقيا في المرتبة السابعة والعشرين عالمياً[٣]، وحالياً هي الاقتصادات الأكبر في إفريقيا إضافةً إلى نيجيريا.

إن الميزان التجاري بين جنوب إفريقيا وروسيا يميل لصالح جنوب إفريقيا، فاعتباراً من عام ٢٠٢١م صدّرت جنوب إفريقيا ما يقرب من ٥٠٠ مليون دولار من السلع المصنعة مثل الآلات والمركبات إلى روسيا، وهي مثال للصادرات ذات القيمة المضافة التي تصل إلى روسيا من إفريقيا وتستحق الاهتمام. كان هناك حديث عن اتفاقية تجارية بين الاتحاد الاقتصادي الأوراسي والاتحاد الجمركي للجنوب الإفريقي، في حين أن جنوب إفريقيا عضو رئيسي في كتلة بريكس، التي تعمل على تطوير العلاقات التجارية والاقتصادية

(١) Joseph Cotterill and David Pilling, "I will play Kissinger': The man behind Africa's mission to end Ukraine war". – The Irish Times, Fri May 26 2023. https://www.irishtimes.com/world/europe/2023/05/26/i-will-play-kissinger-the-man-behind-africas-mission-to-end-ukraine-war/

(٢) UNCTAD, The impact on trade and development of the war in Ukraine p.5.

(٣) Constantin Duhamel with additional commentary by Chris Devonshire-Ellis, A 2023 Russia-African Trade Summary - Russia Briefing News. Accessed 11 June 2023. https://www.russia-briefing.com/news/a-2023-russia-african-trade-summary.html/

المتعددة الأطراف. وفي الوقت نفسه زادت تجارة روسيا مع مصر بنسبة ٣٠٪ في عام ٢٠٢٢م، ووفقاً لوسائل الإعلام المحلية ارتفعت التجارة مع روسيا بالتزامن مع السنة الأولى من افتتاح مكتب علامة التصدير الروسية (صنع في روسيا) في القاهرة.

وتُعدّ الأسلحة محرِّكاً مهمّاً في العلاقات الروسية، فاعتباراً من نهاية عام ٢٠٢١م ظلت روسيا هي المصدر الرئيس في المنطقة لأنظمة الأسلحة وإدارة المخاطر في الولايات القضائية المعقدة (٤٤٪ من حصة السوق)، على الرغم من أنه من المتوقع أن ينخفض هذا مع تحول التدفقات إلى الصراع الأوكراني. يرجى الاطلاع على تقرير روسيا ومصر لنهاية عام ٢٠٢٢م للحصول على تحليل مفصل هنا[١].

من الشائع أن المبادلات الروسية مع الجزائر متعلقة بالتسلح فقط، لكن هناك تجارة إضافية تنمو لا علاقة لها بالسلاح، وهذا ينطبق بشكلٍ خاص على الزراعة، حيث زادت صادرات روسيا من فول الصويا بنسبة ٢٥٪ العام الماضي، وتُعدّ الجزائر واحدة من أكبر الشركاء التجاريين لروسيا في القارة الإفريقية، حيث وصلت التجارة بينهما إلى ٣ مليارات دولار في عام ٢٠٢٢م، في حين ظل المغرب ثالث أكبر شريك تجاري لروسيا في إفريقيا خلال عام ٢٠٢٢م بعد مصر والجزائر.

تضاعفت الصادرات الروسية إلى المغرب العام الماضي، في حين بلغت التجارة الثنائية ١,٢ مليار دولار، وأعلنت وكالة التصدير الروسية في أواخر عام ٢٠٢٢م أنها تسعى إلى زيادة صادراتها من المواد الغذائية الزراعية إلى المغرب بمقدار عشرة أضعاف خلال العام ٢٠٢٣-٢٠٢٤م.

حسب مركز إفريقيا؛ يمثّل الاستثمار الأجنبي المباشر من روسيا أقل من ١٪ من إجمالي الاستثمار الأجنبي المباشر في إفريقيا، في حين أن إلقاء نظرة أكثر شمولاً على البيانات المستخدمة يمكّننا من تأكيد أن روسيا ليست رسمياً بالقرب من أكبر ١٠ مستثمرين، وهذا لم يمنع روسيا من القيام بمشاريع استثمارية ضخمة في دول إفريقية صديقة مثل مصر، حيث تقوم شركة «روساتوم» الروسية ببناء محطة طاقة ضخمة بقيمة ٢٠ مليار دولار أمريكي في مدينة الضبعة بمصر، ويعادل هذا المبلغ من المشاريع تقريباً رصيد الاستثمار الأجنبي المباشر لإيطاليا، والذي يتراوح بين ٢٠ و٣٠ مليار دولار أمريكي في السنوات القليلة الماضية، فإن بصمة روسيا في إفريقيا تقودها الدولة بشكلٍ أساسي، مما يَعقد القدرة على جمع بيانات عاليةً الجودة حول الصفقات التي تتم بالفعل[٢].

كانت روسيا قد وعدت في قمة سوتشي برفع الاستثمار المباشر في إفريقيا إلى حوالي ١٢ مليار دولار، لكن مع بداية الحرب، ونظام العقوبات الغربي، سيكون من الصعب تحقيق هذا الرقم، وإذا كانت روسيا تعتمد على مشاريع الطاقة النووية؛ فنظراً إلى أن هذه المشاريع مكلفة عادةً فإنه يصعب أن تطلبها البلدان الإفريقية التي يعاني معظمها من ديون ثقيلة[٣].

العلاقة الاقتصادية/ السياسية القوية بين روسيا والقوى الأساسية في القارة الإفريقية ستكون محل اختبار حقيقي، بسبب العقوبات على روسيا، وسيتجلى تأثر هذه العلاقات بالحرب الدائرة في أوكرانيا عند عقد قمة (روسيا –

(١) Ibid.
https://www.russia-briefing.com/news/egypt-russia-trade-and-investment-summary-ytd-2022.html/

(٢) Ibid.

(٣) Carlos Lopes, “The Untamed Impact of a Faraway Shock: Africa and the War in Ukraine”, Strategic Review for Southern Africa, Vol.44, No.1, 2022, p.15.

إفريقيـــا) القادمة (نهايـــة ٢٠٢٣م)- وكانت القمة السابقة قد عُقدت في ٢٠١٩م، وحضرها أكثر من أربعين رئيساً إفريقيّاً، ويحتمل جداً أن يتأثر حجم التجارة مع القارة الإفريقيـــة، وبخاصة المنتجات العالية التعقيد، حيث تم منع روســـيا من الوصول إلى التكنولوجيا الغربية، مما ســـيؤثر على تنافسية وجودة السلع الروسية في السوق الإفريقية.

إضافةً إلى أن حالة شبه الحصار التي فرضها الغرب على روسيا ستحدّ من الوصول إلى الأسواق الخارجية البعيدة، وســـتؤدي حتماً إلى رفع تكاليف نقـــل وتأمين البضائع، إضافـــةً إلى صعوبة تحويل الأموال، وهذا يضع البلدان الإفريقية أمام خيارات أخرى، سيحرص الغرب على توفيرها في إطار هذا التنافـــس، وربما هذا الذي دفع الرئيس الروســـي إلى إطلاق مشروع بناء أكثر من ١٥٠ سفينة شحن لتجاوز هذه العقبات، والوصول إلى الأسواق التي لا ترفض التعامل مع روسيا[١].

• تزايد عدم الاستقرار السياسي والأمني:

زادت الحـــرب من حدة التنافس بين روســـيا والغـــرب، وتحولت إفريقيا على إثر ذلك إلى ميدان لهذا الصراع، فقد شـــهدت إفريقيا انقساماً على مستوى التصويت في الأمم المتحدة حول ما يخص الموقف من الغزو الروســـي لأوكرانيا، هناك دول امتنعـــت عن إدانة الحدث، أو غابت عن التصويت، في حين أدانت دولٌ أخرى الســـلوك الروسي، وقد عـــرّض هذا دولاً لضغوطٍ غربيـــة، وخضع بعضها للابتزاز.

لقد كانت إفريقيا خياراً جيداً لروســـيا، كانت القارة أقل انتقاداً لروسيا من مناطق العالم الأخرى، حيـــث امتنعت ٢٥ دولـــةً من أصـــل ٥٤ دولة عن التصويت أو لم تصوت لإدانة غزو روسيا لأوكرانيا خلال قرار الجمعيـــة العامة للأمم المتحدة في ٢ مارس ٢٠٢٢م، وكان هذا متوسطاً أعلى بكثيرٍ مما هو عليه في المناطق الأخرى. وتقول جنوب إفريقيا والعديد من الدول الأخرى- من بين هؤلاء الـ٢٥- إنهم ســـيظلون «غير منحازيـــن»، مرددين الموقف الرسمي الذي اتخذته الدول النامية خلال الحرب الباردة، لكن المؤكد أنه يمكن القول بأن الغرب قد يصبح أكثر ودّيةً مع كل هذه الدول الإفريقية لمنعها من الانجراف أكثر إلى أحضان موســـكو[٢]، وعلى الأرجح ستجد بعض البلدان الإفريقية نفسها وسط الحلبـــة في صراع الكبار حول النفوذ والســـيطرة، وبشـــكلٍ عام فإنه في كل القرارات المتعلقة بالغزو كان هناك انقسام إفريقيّ واضح.

النســـبة المئوية لكل منطقة صوتت بـ: «نعم» في الجمعيـــة العامة للأمم المتحدة على القرارات المتعلقة بغزو أوكرانيا:

Source: Priyal Singh “Russia–Africa Relations in an Age of Renewed Great Power Competition”, Africa Report 42, November 2022, p.15. https://issafrica.s3.amazonaws.com/site/uploads/ar-42-v3.pdf

انـــدلاع الحرب الروســـية الأوكرانيـــة زاد من

(١) روسيا اليوم، روسيا تعمل على بناء أسطول ضخم من السفن لتعزيز صادراتها، ٢٠٢٣/٠٤/١٢. https://t.ly/Wyrm

(٢) Peter Fabricius, “Russia’s Lavrov Visits Africa to Sell Its Ukraine War Narrative”, Daily Maverick, November 25, 2022, African safari of Sergei Lavrov was not routine (dailymaverick.co.za).

اندفاع الشـــركة الأمنية الروســـية الخاصة فاغنر في إفريقيـــا، وأصبحت متدخلة بطريقةٍ أو بأخرى في أكثر من عشـــر دول إفريقية[١]، وتشـــير بعض التقديرات إلى أن لديها حوالي خمسة آلاف عضو متمركزين فـــي جميع أنحاء إفريقيـــا، وهم مزيج من الجنود الروس الســـابقين والمدانين والرعايا الأجانب، كما أنها ليســـت شـــركة أمنية فحسب، فرئيســـها يملك أيضاً شـــركتين تعملان في مجال له علاقة بالإنترنت والعلاقات العامة، وهما «وكالة أبحـــاث الإنترنت» IRA، و«جمعيـــة البحث الحر والتعاون الدولي» AFRIC، ويُعتقد أن المؤسستين مســـؤولتان عن حملات الدعاية في بعض البلدان الإفريقية[٢]. وإذا كان الهدف الأساســـي للشـــركة الروسية فاغنر هو الربح؛ فإنها تُستخدم كأداة شبه رسمية لتنفيذ المصالح الروسية في إفريقيا.

تشـــمل الارتباطات الاقتصادية الروســـية مع الدول الإفريقية في المقام الأول صادرات الأسلحة والتعاون العســـكري فـــي الغالب مع دول شـــمال إفريقيا، فضلاً عـــن التنقيب عن الطاقة والتعدين والتجارة. باســـتثناء صادرات الأسلحة فإن معظم الأنشـــطة الاقتصادية لإفريقيا مع روســـيا أصغر بكثيرٍ منها مع الشركاء الدوليين الآخرين[٣]. تأثير الحرب – خاصةً إذا استمرت – سيكون وقعه على بعـــض الدول أثقل منه على باقي الدول في القارة، وتأتي علـــى رأس الدول المتأثرة بصفةٍ مباشـــرة بلدان شـــمال إفريقيا، باعتبار أنهم أكبر شـــركاء روســـيا وأوكرانيا في القارة، ليس ذلك في الحبوب والغـــذاء بصفـــةٍ عامة فقط بل أيضاً في تســـليح جيوشهم.

تُعدّ روســـيا هي أكبر مورّد للأسلحة لإفريقيا، على الرغم من أن الجزء الأكبر من الصادرات يتركز في مصر والجزائر. نقلت روسيا أسلحة إلى ١٤ من ٥٤ دولة إفريقية بيـــن عامي ٢٠١٧–٢٠٢١م، تمثل روســـيا (٤٣٪) من تصدير الأســـلحة، تليها فرنسا (١٤٪)، والولايات المتحـــدة (١١٪)، وإيطاليا (٩٪ في المائة)، وألمانيا (٧٪)، والصين (٥٪)[٤].

هدف روســـيا فـــي إفريقيا هو كســـب النفوذ علـــى الأراضي الإســـتراتيجية علـــى طول جنوب البحر الأبيض المتوســـط والبحر الأحمر، بما في ذلك إنشاء ميناء بحري، مما يسمح لروسيا بتدفق القوات العســـكرية أو الاســـتخباراتية أو المرتزقة والعتاد والمكاسب غير المشروعة، فضلاً عن زيادة النفوذ مع النظام المضيف. وتســـعى روسيا أيضاً إلى إزاحة النفوذ الغربـــي وتقويض النظام الدولي القائم على القواعد الغربية. ولتحقيق هذه الأهداف تستخدم روســـيا مجموعة فاغنر لنشر قوات غير نظامية في عددٍ من البلدان المعزولة سياسياً ذات الموارد الطبيعية الوفيرة، وهذا يخلق شـــراكة بين الأنظمة غير الخاضعة للمســـاءلة والمرتزقة غير الخاضعين للمساءلة، والتي غالباً ما تؤدي إلى عدم استقرار المواطنين وزيادة ترسيخ الجهات الفاعلة غير الليبرالية[٥].

(١) David Ehl, “Russia's Wagner Group in Africa: More than mercenaries”, Accessed 21-05-2023. https://www.dw.com/en/russias-wagner-group-in-africa-more-than-mercenaries/a-64822234

(٢) William Rampe, What Is Russia’s Wagner Group Doing in Africa?, accessed 20-05-2023. https://www.cfr.org/in-brief/what-russias-wagner-group-doing-africa

(٣) Priyal Singh “Russia–Africa Relations in an Age of Renewed Great Power Competition”, Africa Report 42, November 2022, p.2.

(٤) Karolina Linden, Russia's relations with Africa Small, military-oriented and with destabilising effects. FOI Studies in African Security, January 2023, p.4-5. https://www.foi.se/rest-api/report/FOI%20Memo%208090

(٥) Siegle, J. (Sep 15, 2022). Russia’s use of private military contractors. Testimony for U.S. House of Representatives House Committee on

وقّعت روسيا اتفاقيات تعاون عسكري مع دول إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، تغطي قضايا مثل مكافحة الإرهاب وحفظ السلام، ومع ذلك يتركز نفوذ روسيا في إفريقيا في المقام الأول في شمال إفريقيا، ويقتصر على دولتين رئيسيتين فقط، هما مصر والجزائر، مما يجعل مبيعات الأسلحة مؤشراً ضعيفاً على نفوذها في جميع أنحاء القارة.

الجانب الأكثر إثارةً للجدل في مشاركة روسيا هو أنشطة مجموعة فاغنر، وهي شركة عسكرية روسية شبه خاصة تعمل في الدول الإفريقية المتأثرة بالصراع، لكن من المرجح أن يتأثر هذا الوضع بشدة إذا طالت الحرب، حيث تركز الصناعة العسكرية على دعم مجهود الحرب، وتجد الشركات الأمنية الروسية نفسها تقوم بأدوار محلية بدل التوجه إلى إفريقيا.

يساهم كذلك هذا الانخراط الروسي الرسمي أو غير الرسمي في إفريقيا- مع الانقسام الموجود بين الدول الإفريقية حول الدور الروسي- في زيادة عدم الاستقرار السياسي والأمني في القارة، حيث تتحول شيئاً فشيئاً الى ساحة للتنافس الجيوسياسي بين الأطراف المتحاربة، مما يعني تفجر حروب ونزاعات بالوكالة في القارة. إضافةً إلى أن الغزو الروسي لأوكرانيا يُعتبر محفزاً لمزيدٍ من الصراعات الحدودية في إفريقيا، ومحاولة بعض الدول ضم مناطق إليها، أو الانفصال بأخرى، وبخاصةٍ تلك التي تُعرف بوجود ثروات باطنية[1].

• إستراتيجيات التخفيف من آثار الحرب:

عُقدت قمة دكار الثانية في يناير ٢٠٢٣م تحت عنوان «إطعام إفريقيا: السيادة الغذائية والمرونة»، وكان تركيزها الأساسي في: كيف يمكن لإفريقيا أن ترفع أداءها في القطاع الفلاحي، وتواجه التحديات المتصاعدة فيما يخص الأمن الغذائي، إذ هناك أكثر من ٢٤٩ مليون جائع في إفريقيا، وهو ثلث عدد جوعى العالم، لكن في المقابل تمتلك إفريقيا مساحات السافانا الشاسعة، والتي تُقدّر وحدها بـ(٤٠٠ مليون هكتار)، مزروعٌ منها فقط ١٠٪ (٤٠ مليون هكتار)، مما يعني أن الاستثمار في القطاع الزراعي لا يسد العجز الإفريقي فقط، بل يحوّل إفريقيا إلى سلة غذاء للعالم، خاصةً في ظل استمرار الحرب الروسية الأوكرانية[2].

وذهب الرئيس ماكي سال إلى أن التحدي الحقيقي لإفريقيا هو أن تنفذ شعار «من المزرعة إلى الطبق، نحتاج إلى السيادة الغذائية الكاملة، ويجب علينا زيادة الأراضي المزروعة والوصول إلى الأسواق لتعزيز التجارة عبر الحدود»[3]. وفي السياق نفسه- أي تحرر إفريقيا من التبعية الغذائية لروسيا وأوكرانيا وباقي العالم الخارجي- يخطط البنك الإفريقي للتنمية إلى استثمار ١٠ مليارات دولار، من أجل تحويل إفريقيا إلى سلة خبز عالمية، وليس تحقيق الاكتفاء الذاتي فقط، خاصةً أن مشكلة الكثير من المناطق هي في توفر رأس المال والقدرات التكنولوجية والبشرية المحترفة،

(١) Dizolele, M. P. (March 1, 2022). How Russia's invasion of Ukraine affects Africa. Center for Strategic and International Studies. https://www.csis.org/analysis/how-russias-invasion-ukraine-affects-africa

Oversight and Reform Subcommittee on National Security. https://africacenter.org/experts/russia-private-military-contractors

(٢) البنك الإفريقي للتنمية، إطعام إفريقيا: السيادة الغذائية والمرونة ٢٥-٢٧ يناير ٢٠٢٣، شوهد في ٢٠٢٣/٠٥/١١. https://www.afdb.org/ar/qm-dkr-2-tm-fryqy-lsyd-lgdhyy-wlmrwn

(٣) Yohannes-Kassahun, Bitsat. "One Year Later: The impact of the Russian conflict with Ukraine on Africa", Africa Renewal, February 2023. https://www.un.org/africarenewal/magazine/february-2023/one-year-later-impact-russian-conflict-ukraine-africa. Accessed 11/05/2023.

إذ تتوفر الأراضي الصالحة والمياه وبكثافة كبيرة.

كما أن تنفيذ متطلبات منطقة التجارة الحرة القارية الإفريقية AfCFTA، التي تعد بتجارة فعّالة عبر الحدود، من شأنه أن يسمح بحركة سلسة لما يقرب من ٣٠ مليون طن من الأسمدة التي تنتجها إفريقيا كل عام، هذا الإنتاج هو ضعف كمية الأسمدة التي تستهلكها القارة حالياً. كما يمكن لإفريقيا تحقيق الوصول المستدام والمنخفض التكلفة إلى الطاقة، سواء كان ذلك من أجل التنمية الصناعية، أو ضمان أمنها الغذائي، بفضل وجود مزيج متوازن من الطاقة في بلدان إفريقيا المختلفة، لكن- كما قلنا- هذا يتطلب رفع مستوى التشبيك بين بلدان القارة وأقاليمها[١].

سيعتمد التحول الناجح للنظم الغذائية الإفريقية- إلى حدٍّ كبير- على استعداد البلدان الإفريقية لتحقيق حلول قارية وإقليمية، لبناء واستدامة المزيد من المرونة في مواجهة الصدمات الخارجية[٢]. لذلك فإن الأمر مرتبط بالإرادة السياسية للنخب الإفريقية الحاكمة، والتي عليها أن تجيب عن سؤالٍ أساسي، وهو: هل تريد العمل معاً أو ستبقى تفضل الشريك الأجنبي؟ ومنه تسمح للقوى الخارجية بالوجود في القارة الإفريقية.

تعتمد بعض الحكومات على الدعم المالي للغذاء والطاقة كجزء من أدواتها السياسية، وغالباً ما تستخدمها لتحقيق مصالحها السياسية. ولكن هذه الإعانات ينبغي أن تكون مؤقتة ومستجيبة للصدمات الدورية أو العرضية التي ترفع أسعار السلع الأساسية- مثل الحرب الحالية- لتمكين الأسر من التكيف مع هذه الزيادات، لذلك يجب دعم إنشاء شبكات أمان اجتماعي قوية ومستدامة، وبرامج حماية اجتماعية تساهم في زيادة مقاومة الأسر لصدمات أسعار السلع الأساسية والحد من خطر المجاعة. وشبكات الأمان الاجتماعي تلك يجب أن تكون قابلةً للتوسع والتكيف بسهولة، وموجهة خصيصى للأسر الفقيرة التي تتضرر من ارتفاع تكاليف الغذاء والطاقة، وسوف يتطلب ذلك أيضاً إنشاء قواعد بيانات وطنية للأسر على المدى المتوسط، لتحسين تنسيق وفعالية برامج الحماية الاجتماعية، ويمكن للتقنيات الرقمية تسهيل تحديد المستفيدين ضمن قاعدة بيانات موحدة وشفافة[٣].

أحد الطرق التي اتخذتها البلدان الإفريقية لمواجهة آثار الحرب هي التدخل المباشر في النزاع؛ لكن من أجل إخماده واسترجاع حالة السلم بين روسيا وأوكرانيا من جديد، حيث تسعى مجموعة من ست قادة أفارقة (جنوب إفريقيا، مصر، السنغال، زامبيا، أوغندا، وجمهورية الكونغو) إلى فتح خط مباشر للحوار بين القيادة الروسية والقيادة الأوكرانية، وهذا من أجل تفادي أي تأثيرات سلبية على القارة والعالم[٤].

قدّمت البعثة الإفريقية عشر نقاط لقادة الدولتين من أجل أن يتم الاتفاق عليها، لوقف الحرب وفتح موانئ البحر الأسود لتصدير الحبوب وباقي السلع، لكن الأمل في الاستجابة لمبادرة السلام الإفريقية يبقى محدوداً، وصرح الرئيس الروسي إلى البعثة الإفريقية أن الغرب هو المسؤول

(١) Bitsat, Op.cit.

(٢) Josefa Sacko & Ibrahim Mayaki, "How the Russia-Ukraine conflict Impacts Africa", Africa Renewal, May 2022, How the Russia-Ukraine conflict impacts Africa | Africa Renewal (un.org) accessed 11/05/2023.

(٣) البنك الإفريقي للتنمية، أداء الاقتصاد الكلي في إفريقيا ٢٠٢٣، ص٥٢.

(٤) Iynsey Chutel "African leaders plan 'peace mission' to Russia and Ukraine". African Leaders Plan 'Peace Mission' to Russia and Ukraine - The New York Times (nytimes.com) 16 May, 2023. Accessed: 26/05-2023.

عن الارتفاع الحاد في أسعار الغذاء العالمية في أوائل العام الماضي، والذي أضر بإفريقيا بشكلٍ خاص، وحتى عندما سمحت روسيا بتصدير شحنات من الحبوب عبر موانئ البحر الأسود؛ فإن هذه الشحنات ذهبت للبلدان الغنية وليس للبلدان الإفريقية الأكثر فقراً[١].

• فرص إفريقيا التي جاءت مع الحرب:

إن الغزو الروسي لأجزاء من أوكرانيا، واستمرار الحرب لغاية اللحظة، جعل الأوروبيين يعملون على التخلص من الهيمنة الروسية على سوق الطاقة، وكانت الوجهة المثلى لهم هي البلدان الإفريقية، وبخاصةٍ ما يتعلق بالغاز، لذلك زاد حجم الواردات الأوروبية من الغاز الإفريقي، وتم عقد عدة اتفاقيات مع البلدان الغازية الإفريقية. كان الذي يكبح مثل هذه التوجهات هو الغاز الروسي الرخيص نسبياً والقريب الى المستهلك الأوروبي، لكن الحرب غيرت من هذه المعادلة وأعادت رسم خريطة الطاقة الأوروبية، والأفارقة سيكونون بسبب ذلك من أهم الدول المستفيدة من هذا التحول الذي جلب معه العديد من المشاريع الاستثمارية، وسيخلق عائداتٍ البلدان الإفريقية بأمسّ الحاجة إليها[٢].

تمتلك العديد من البلدان الإفريقية، بما في ذلك الجزائر وتنزانيا والسنغال ونيجيريا وموزمبيق، احتياطيات كبيرة من الغاز البحري وغير البحري، فعلى سبيل المثال: تتوقع تنزانيا استثمارات أجنبية بقيمة ٣٠ مليار دولار لبدء بناء مشاريع الغاز الطبيعي المسال البحرية في عام ٢٠٢٣م، في حين تهدف السنغال إلى استغلال ٤٠ تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي الذي تم اكتشافه بين عامي ٢٠١٤م و٢٠١٧م. كما وقّعت الجزائر والنيجر ونيجيريا بالفعل اتفاقية بقيمة ١٣ مليار دولار لتطوير خط أنابيب الغاز العابر للصحراء، والذي يهدف إلى نقل الغاز من غرب إفريقيا إلى إيطاليا وإسبانيا عبر الجزائر[٣].

تبقى أهم فرصة جاءت بها الحرب، هي ضرورة التفات الأفارقة أنفسهم إلى تنمية القدرات الكامنة المحلية، إذ يُرجَّح أن ترتفع حدة التوترات العالمية، وتتعرض معها سلاسل التوريد العالمية إلى مزيدٍ من الضغوطات، ولتجنّب هذا يتحتم على الأفارقة العمل الإقليمي والقاري، من أجل تحقيق اكتفاءٍ ذاتي.

يبقى أن أهم محدد يضمن استفادة إفريقيا مجتمعةً من هذه الحرب هو بقاؤها على الحياد الإيجابي، مما يعطيها صوتاً مسموعاً على المستوى الدولي، أما إذا اصطفت إلى جانب طرفٍ دون آخر؛ فستعيد مأساة الحرب الباردة، وتنفتح القارة للحروب بالوكالة.

خاتمة:

تتمتع كلٌّ من روسيا وأوكرانيا بعلاقاتٍ اقتصادية محدودة مع إفريقيا، مقارنةً بباقي القوى الكبرى في العالم، مثل الاتحاد الأوروبي، الصين، الولايات المتحدة الأمريكية، لكن يكمن التأثير في نوعية المواد التي تصدرها الدولتين إلى إفريقيا، بحكم أنهما تعُدّان من السلال الغذائية في العالم.

تظهر بلدان شمال إفريقيا على أنها أكثر

(١) Reuters, Putin rebuts key elements of African peace plan for Ukraine, June 17, 2023. https://www.reuters.com/world/europe/african-leaders-arrive-ukraine-talks-with-russias-pu-/tin-2023-06-17

(٢) Edward A. Burrier, In Africa, Putin's War on Ukraine Drives Food, Fuel and Finance Crises, 30 June 2022, https://www.usip.org/publications/2022/06/africa-putins-war-ukraine-drives-food-fuel-and-finance-crises

(٣) UNDP, The Impact of The War in Ukraine on Sustainable Development in Africa, May 2022, p.3.

المناطق ارتباطاً بطرفَي الصراع، ومنه الأكثر تأثراً بتداعيات الحرب، ففي حين تُعدّ مصر أكبر شريك تجاري لروسيا وأوكرانيا في إفريقيا، تأتي الجزائر كأهم مستورد للسلاح الروسي في إفريقيا، لذلك إذا استمرت الحرب أو توسعت ستؤثر بشدة على البلدين، فقط تختلف مجالات التأثر، ففي حين يمس هذا التأثر الأمن الغذائي في مصر؛ فإنه قد يمس الأمن القومي في الجزائر.

من الراجح أن التداعيات الاقتصادية حتى الآن يمكن تجاوزها، على الرغم من النتائج الوخيمة على بعض الدول الإفريقية الفقيرة، خاصةً أن الارتباطات الكبرى للقارة الإفريقية هي مع الصين والاتحاد الأوروبي وأمريكا. وكذلك من المرجح أن روسيا في سعيها للحفاظ على نفوذها الجيوسياسي في القارة ستعمل على تخفيف مشكلة الاضطرابات في إمدادات الحبوب والأسمدة، وخاصةً في ظل العقوبات الغربية التي تحاصرها في الأسواق العالمية، هنا تظهر أهمية السوق الإفريقية كمتنفس للسلع الروسية، والأمر نفسه ينطبق على أوكرانيا وإن بدرجة أقل، إضافةً إلى أن البلدان الإفريقية إذا عملت بقوة تجاه تحفيز التجارة الإقليمية فإن الكثير من الصدمات الخارجية الناتجة عن الحرب أساساً سيتم تلافيها.

يحتمل أن ازدياد مستويات عدم الاستقرار السياسي سيتأثر به الساحل أكثر من باقي المناطق في القارة، حيث إن الوجود الروسي عبر الشركة العسكرية الخاصة فاغنر يُعدّ قوياً، وهو في حالة تحفُّز مستمر، خاصةً في إفريقيا الوسطى، ومالي، وبوركينافاسو، والسودان، وليبيا، يزيد من هذا الاحتمال الترابط الجغرافي بين هذه الدول.

لكن على الرغم من كل هذا فهناك محدودية في تأثير الغزو الروسي في البلدان الإفريقية نظراً لمحدودية الدور الروسي والأوكراني بكل تأكيد، يبقى أن الزخم الروسي في القارة يجد جذوره في

إذا لم يتم تنفيذ فكرة الحياد الإيجابي للمجموعة الإفريقية ككل؛ فإن تداعيات الحرب ستكون وخيمة على بلدان القارة، وسترجع بها إلى فترة الحرب الباردة والحروب بالوكالة

العلاقات التاريخية بين الاتحاد السوفييتي وبعض بلدان القارة الإفريقية، وهو ما يستغله الاتحاد الروسي حالياً لإعادة بناء دوره الجيوسياسي، لكن يظهر أن الآمال الروسية أكبر من قدراتها في إفريقيا، مع أن التشابك الروسي مع الدول الإفريقية الكبرى حاصل، ومن الصعب فك هذا الارتباط في وقتٍ قصير، سواء ما تعلق بالاقتصاد أو التسلح.

لأجل هذا؛ فعلى الأرجح أن إفريقيا ستصبح من جديدٍ موقعاً لمزيدٍ من التنافس الجيوسياسي خلال السنوات القادمة، مما سيؤدي إلى تفاقم الأزمات والصراعات في القارة، وسنشهد المزيد من حالات الاضطراب السياسي وربما الانقلابات على شاكلة الحرب الباردة، خاصةً أن حالة الانقسام العالمي هذه تتزامن مع ارتفاع المشاعر المعادية للوجود الغربي في بعض مناطق القارة.

إذا لم يتم تنفيذ فكرة الحياد الإيجابي للمجموعة الإفريقية ككل؛ فإن تداعيات الحرب ستكون وخيمة على بلدان القارة، وسترجع بها إلى فترة الحرب الباردة والحروب بالوكالة، خاصةً أن الوجود الغربي قويٌّ في القارة، ولا يمكن إزاحته، والنفوذ الروسي ينمو في بعض البلدان ولا يمكن كبحه، ما دامت روسيا لديها القدرة على مواصلة الحرب، مع اقتناع أصدقائها الأفارقة أنه بإمكانها تحقيق النصر ■